كتاب

مقالات مار افرام

ملفان الكنائس السورية ومعلم
الارثوذكسيين اجمع

وقف على طبعه احد رهبان دير السيدة برموس في برية انبا مقاريوس

طبعة اولى

طبع في مطبعة العصر التاسع عشر بمصر
سنة ١٨٩٣

الفصل الاول

رسالة الى يوحنا الراهب في الصبر والحذر ان لا ينخدع بالافكار في طلب السياحة والعفة

قد وعظنا ثاودرس المتورع كثيراً بعظات كثيرة . الا يبتعد من موضعه . وما امكننا ان نقنعه . بل قال لنا ان اثرتَ ان تعينني . وتخلص بعد الله نفسي . فارسلني الى ديرك . فاجبته يا هذا ان اهتمام الدير قد فوضته الى يوحنا الاخ . وخلوا من رايه لا يمكنني ان آمر احدًا بسكنى . فقد فعلت فعلا محموداً اذ قبلت الاخ السالف ذكره . لانه حين عاد الينا اخبرنا عن اي تعطف اوضحته فيه . لان مثل هؤلاء الذين احبوا الرب ينبغي ان يكونوا عندك مكرمين . اكثر من الاب والام والاخوة والاخوات والمراة والاولاد والانسبا والاصدقاء . فلقد صنعت حسناً جاعلاً نفسك رسماً لاعمال حسنة . ولا سيما اذ صرت رسما للاخوة الساكنين معك . مثل الامر الذي اتضح في المسيح حين صنعه اذ رفع تلاميذه الى سمو التواضع . فقال انما اعطيتكم انموذجاً لتعملوا انتم نظيره وذلك لكي الذين لا يقنعهم القول . يقنعهم الفعل وبولس الرسول يعظ قائلاً صيروا متشبهين بي كما تشبهت انا بالمسيح . فلا تتهاونوا انتم بالخدمة الروحانية . ولا تكونوا بحجة الحوائج الجسدانية متوانين في صلواتكم . لان اقوال الرب اذا درست وتليت دائمًا تغذي النفس وتحفظها . وتوقي الجسد وتوديه وتطرد الجن وتهربهم . وتجعل في النفس سكوناً عظيماً . فاما عن الذين ابتدأوا بافعال تفوق طاقتهم فقد سقطوا في معاطب لا نهاية لها . فحسب الاذعان لبولس القائل لا يرتاي (الانسان) فوق ما ينبغي ان يرتاي بل يرتاي الى التعقل والسمع من الحكيم الذي قال . لا تصير صديقا كبيرا ولا تحاكم حكمًا زائدًا لئلا تدهش . لانه اتفق في هذه الايام ان قوماً من الاخوة تركوا قلاليهم ومضوا الى الارض المقفرة التي لا ماء فيها ولا ثمر لها . فرجوا ذواتهم فيها بعد ان وعظوا عظات كثيرة من الاباء والاخوة وقد

يدعنوا لرايهم قائلين نحن نمضي لنكون سواحاً فلما بلغوا بانفسهم الى البرية القاحلة جدا وعاينوا ان الارض التي لا تسلك قد اكتنفت ذواتهم طفقوا يستصعبون الامر جدا ثم حاولوا ان يعودوا الى الارض المسكونة فلم يقدروا ان يستخرجوا ذواتهم من البرية المستصعبة كثيراً لانه لم يكن حصولهم في باطنها سهلا . فانضغطوا اذ ذاك من عدم الاكل والعطش والحر واستلقوا مكتئبين وضامئي النفس ثم بتدبير من العناية الالهية صادفهم قوم وهم قد قاربت انفسهم ان تنتزع منهم فوضعوهم على دوابهم وحملوهم الى المواضع المسكونة . وطائفة منهم توفوا واكل اجسادهم الطير والوحش والذين خلصوا لبثوا مرضى مدة طويلة فعند ذلك عرفوا بالخبرة الا يعملوا شيئاً بغير مشاورة . وكثيرون اذا استجرهم فكر العظمة وذهبوا الى ارض لا ثمر فيها ولا ماء فسببوا لانفسهم موتاً مقتسراً واخرون اذ لم يأثروا ان يطيعوا ولم يحتملوا ان يخدموا مناظريهم بنفس سقطوا في هذا العطب نفسه واخرون اذ لم يرتضوا ان يعملوا بايديهم عطبوا . وكذلك اخرون هزي بهم من فكر الارتفاء بالذات والتشامخ بالمديح الباطل . فتصيدوا المديح من السامعين انهم قد صاروا سواحاً . واذ لم يفتكروا في الاتعاب التي تدهمهم القوا انفسهم في هذه المعاطب انفسها . فلا ينبغي الآن ايها الحبيب ان ننقاد لافكارنا بلا تمييز . لاننا نحتاج كثيراً ان كل واحد منا يعرف مقداره و يتواضع لقريبه بمحبة الله وان استشعر احد انه قد قوّم الفضيلة ومسك الالام وتملك على الشهوات فلا يثق هكذا برايه . لئلا يقال عنه الفصل المكتوب ان الملك الجسور يسقط في المساوي وملاك الرب ينجيه . لكن ربما يعترض احد فيقول . وكيف نجد قوماً من الاباء قد قوموا هذه الفضيلة فقد احتجنا ان تظهر لكم هذه الشهادة من اخبار سير الاباء القديسين . وتوضح ان الاباء القديسين ما عملوا شيئاً عبثاً ولا جزافاً . لانه قد حكي عن مقاريوس الراهب انه قال . بينما انا كنت جالساً في قلايتي بالاسقيط آذتني الافكار . قائلة امضي الى داخل البرية وافهم ماذا تعاين هناك . فلبثت محارباً للفكر خمس سنين خاشياً ان يكون من الجن فابصر فهم الرجل انه لم ينقاد للفكر ولا حاضره بل لبث يجوزه صائماً ساهراً مصلياً ليعرف ان كان من الجن (فنحن اذا جاء الينا الفكر ونحن ثابتون فنتفرد ونعتزل ولسنا نجوزه مصلين بتوجع قلب . بل ولا اذا وعظنا من اخرين نقتنع ونخضع لرايهم فذلك بسببنا المعاند بسهولة) ثم لما ثبت الفكر ودام خرج الى البرية . فصادف

هناك بحيرة مياه وجزيرة في وسطها . فاذ جاءت انعام البرية تشرب منها راى في وسطهم رجلين مجردين فبعد ان فاوض بعضهم بعضاً . قال لهما مقاريوس كيف يمكنني ان اصير راهباً . فقالا له ان لم يزهد احد في الاشياء التي للعالم كلها متبرياً منها فلا يستطيع ان يكون راهباً . فقال لهما انا ضعيف ولا استطيع ان اكون مثلكما فقالا له ان لم يمكنك ان تكون مثلنا فاجلس في قلايتك وابكِ على خطاياك . بالجسامة تواضع الانسان الالهي و يا لسمو فهم النفس المتورعة من قد اوضح مقدار تلك التصرات الممدوحة ومثل عظم جسامتها فلم يوضح عن ذاته انه مستحق للامر لكن قال لهما انا ضعيف ولا استطيع ان اكون مثلكما فنحن لا اضطهاد انتصب لنا ولا اضطهدنا احد ومع ذلك نسلك بسيرتنا بالتبجح والاعتداد بالذات ونبتدئ بافعال تفوق حدودنا كمجد بين الرب الاله . الامر الذي هو مرهب جدا . الويل للانسان المتوكل على قوته ونسكه او على ذكائه ولا يكون اتكاله على الله لان منه وحده العزة والقوة . وان اطلعنا على سيرة انطونيوس الراهب نجده صانعاً كل افعاله من استعلان الهي . الم يجلس في دير . اوما احتاج ملابس اوما اكل خبزاً او ما عمل بيديه . او ما اقتنى تلاميذ اما كفنوه مائتاً ودفنوه . او هل استعمل القبيوط انطونيوس وحده هذه السيرة . بل وباقي الاباء الذين اكمل الله بهم ايات واشفية لانهم كانوا كالمصابيح البهية مستشهرين بالفضائل . فلنغاير نحن يا احبائي سيرتهم ومذهبهم ونسلك في الطريقة الملوكية غير جانحين الى ميامنها ولا الى مياسرها . فلنثابر السكوت الصوم السهر الصلاة الدموع الصلوات الجامعة عمل اليد مخاطبة الاباء القديسين اطاعة الحق استماع الكتب الالهية لكيلا يصير فكرنا بورا عاشباً بالالام . ولنوقف ذاتنا خصوصاً مستحقين لتقريب الاسرار المقدسة الطاهرة . لكيما تنتظف انفسنا من الافكار الوسخة المتولدة ويسكن الرب فينا فينقذنا من الخبيث . وقبل هذه كلها فليحفظ المحبة الصافية بعضنا لبعض وللكل . لانه من جهة القريب يقتني الانسان الحظ الشرير او الصالح . لان القائل صادق هواذ قد صنعتم باحد اخوتي هولاء الحقيرين شيئاً فبي صنعتم ذلك . وقال للذين لا علقة لهم بذلك ايضاً . اذ لم تعملوا باحد اخوتي هولاء الحقيرين شيئاً فبي لم تفعلوا فيذهب هولاء الى العذاب الخالد . ويمضي الصديقون الى الحياة الموبدة . ان القدماء كانوا يذبحون عجولا وكباشاً وخرافاً كلها نقية لا عيب فيها ويقدمونها الى التضحية فلنقدمن نحن جسدنا للرب بالروح القدس ولا نوصمه بالافعال المحذورة ولا ندنسه بفكر ما . لئلا

تصير ذبيحتنا غير مقبولة وبأية حال يجب ان نقتني الندامة · فيثاب الذين لم عقل العيون المستقيمة · وذكر الله الذي شعاعاته تضيء لكل قلب · فاما الذين هم ضعفاء في مثل هذا الفكر فهم محتاجون الى انموذجات ومقاييس ليعتبروا مثل هذه الفضيلة ويقوموبها فلتكن مقاييسنا مثل هذه · ان الذين يتناظرون في الحروب العالمية · تنصب لهم صور على الحيطان وفي الالواح وينقش فيها رواية الحرب · كيف بعض يعدون قتيلاً وبعض مجروحون وقوم قد هربوا وقوم يقاتلون بايديهم وسيوفهم مجردة ويحصدون مصارعيهم كحصاد السنبل وهذه المقاييس يصنعونها لمغايرة الذين يصيرون اليها فيما بعد · ولذكر المفضلين على من بارزوهم في الحرب · وكثيرون صوروا جهاد القديسين في هياكل الصلوات لغايرة المتوحدة قلوبهم ولتفريح الناظرين اليها · فاذاً سيرتنا عتيدة ان تكتب وتصور وتنصب في علو شاهق ليعاينها الكل فاحرصوا · بل فلنحرص ان تقوم الفضيلة لئلا يتصور في ايقونتنا شيء مذموم وغير ملائم · لانه مستقبح بالحقيقة ان يصير في ايقونة رجل يعانق امراة وحال مستشنع ولا سيما ان كان من المظنونين انه لابس زي التدبير الحسن · فان كان ذلك مع ذكر على راي القائل ذكورة يعملون الفاحشة بذكورة · فمن ترى يجترىء ان يعاين تلك الايقونة · لانه منظر يجب ان يهرب منه فاذ نعلم يقيناً ان تعذيباً لا يحتمل يحل بمن يوجد في مثل هذا الهوان فلنهتم ان تصير وضع الرواية الواصفة اخبارنا واتقانها حسنة وممدوحة مستنهضة الى مغايرة الصالحات من يصادفها بجملتها · ولا تصور فيها شيئاً رديئاً نوعه ولانوعاً لا يختص بالفضيلة لان الرواية المسندة عن اهل سدوم متنصبة انتصاباً لا يضمحل تخبرة كيف اتاق اولئك الفجار النهمة شهوتهم بتنزل الصديق الى ان ضربوا بضربة فقد النظر واحترقوا بالمطر الناري وترمدوا هم وارضهم التي عملوا فوقها المجامعات النفاقية · فهذه الرواية كايقونة ماء · موعبة خوفاً وضعها الاله خاتلنا في ضمير كل واحد منا · حتى اذا نظرنا الى مثل تلك الامثال الرادعة نحجم عن الاعمال الطالحة · واما الذين يغمضون اعينهم من معاينة تلك الرواية التي نصبت لنا وعظاً فاولئك يتهورون بسهولة في هوة الهلكات · فانت اذاً فليكن ناظر ذهنك مقترناً بمثل هذه المعاينة · لكي تصدم بالخوف الآلام النجسة · وتطمس انتظار الخط الآلام المضطربة لان من يتصور ذلك الرجز المسير من الله فلا يزرع ولا يقبض ذهنه ان لم يستعمل هذه المعاينة مشعلة زائدة · اما انا الواني

لما نصبت في عقلي تلك الرواية تنهدت ووضعت وجهي بين ركبتي وبكيت لما رايت تصور جريان تلك النار المتداركة هولها · والارض نفسها مضطرمة · وكلها مملوءة قتاماً ودخاناً وقاطنيها قد ذابوا كالشمع · اترى لا تستطيع الانموذجات وحادثات السالف حدوثها ان تعزل النفس الصخرية وتلينها · فمنذ الان فلنتفرس في هذه الرواية بمداومة · بل فلنتاملها بلا فتور لكي بالحرص في الاشياء المفضلة نهرب ونفلت من حيرة النقم السابق ذكرها · لان التواني ينشيء عدم الخشية ومنها جميعاً تنشأ العادة · والذين يصيرون في عادة الشر يصعب انتشالهم منها · وهم جانحون كل حين الى فساد الشمر الروحاني وينبغي ايضاً ان نحضر ذكر يوسف كانه في ايقونة · ونتفطن في امره كيف اجتذبته المصرية واستخرجته اليها فاما هو المحب لله فترك ثوبه وهرب من افتعال الدنس بل ونعاين الشيخين اللذين كانا ببابل في ذهننا كمثل ايقونة · كيف استدعيا سوسنة المغبوطة الى الفعل النجس فاستعملت هي فكراً مومناً شجاعاً فحطمتهما · هكذا فلنجاهد نحن بثبات · ولا سيما اذ نوقن انه ليس مكتوم لا يظهر · لكيما يثني علينا بالثية الفضيلة والمدحة كي نوجد مع الممدوحين لا مع المذمومين · فاما عن الذين يلتمسون استعلام كيف يتصرفون مع الاخوة · ويسترضون الاله الحقيقي · اذا صليتم عنا سنرسم لكم اخيراً بموازرة النعمة ايانا مهما امكن ان يقال في هذا المعنى وليكن بيننا وبينكم الرب عون الحياة المعطي سروراً وقداسة وسلامة ورجاء صالحاً على الذين يتقونه بالحقيقة · قبل عني الاخوة الذين معك · تقبلك الاخوة الذين ههنا

الفصل الثاني

توبيخ لذاته واعتراف

يا اخوتي تاملوا معي وليكن لكم تحنن ورافات · فانه لما قال الكتاب الالهي بامثلا · ان الاخ الذي يعينه اخوه يكون كمدينة حصينة شاهقة · لانه يقدر كاقتدار المملكة المتوطدة · ويقول ايضاً ليعترف بعضكم لبعض بالخطايا · وليصل بعضكم على بعض لتشفوا · اقبلوا ايها المصطفون من الله توسلة ممن عاهد ان يرضي الله فكذب خالقه · لكيما بطلبتكم انجو من الخطايا المطيفة بي فاصير معافى

وانهض من سرير الخطية المفسدة . فاني منذ طفوليتي صرت اناءً طامحاً ومرفوضاً والان اذ اسمع بالديونة اتهاون . بما ان لي خطايا وجرائم تفوق العظم واعظ اخرين ان يبتعدوا من الاشياء التي لا تنفع وتلك الاشياء تكمل مني مضاعفة ويلي لي اى يأس قد وقعت وبلى في اي خزي قد حصلت . وبلي لان باطني ليس كظاهري . فلهذا ان لم تشرق عليَّ رافات الله سريعاً فليس لي من اعمالي ولا رجاء واحد للخلاص . لانني اتكلم على الطهارة وافكر في الفجور . اتلي اقوالاً على ندم التالم وفيَّ موجود المذيذ في الالام النجسة ليلاً ونهاراً . فاي اعتذار لي وبلي اي فحص قد استعد لي بالحقيقة ان زي الديانة الحسنة موضوع علي وليس فيَّ قوتها . باي وجه اتقدم الى الرب الاله العارف مكتومات قلبي . انا مديون بمثل هذه المساوي واجزع ان اقوم في الصلاة . لئلاً تنحدر علي من السماء نار فتبيدني . لانه ان كان الذين قدموا في البرية ناراً غريبة خرجت من الرب نار فاحرقتهم . فماذا انتظر انا . ومثل مقدار هذه الذنوب موضوع عليَّ . فماذا هل اقطع رجاي من خلاصي حاشا . لان هذا هو الذي يحرص عليه المضادد . انه اذا انحدر احد الى الاياس حينئذ يقبضه هو . فانا لا ايأس من نفسي لانني اثق برافات الله وبتوسلاتكم . ولا تضجروا اذاً من التضرع الى المتعطف لكي يعتق قلبي من عبودية الالام المحتقرة فقد عمي قلبي واستحال فكري المتدين حسناً واظلم ذهني فرجعت وصرت مثل الكلب العائد الى قيئه فليس ذهني نقياً ولا دموع لي في صلاتي ان تهدت نشف ماءه وجهي من الخزي اقرع صدري فهو خزانة الالام . لك المجد ايها المحتمل لك المجد ايها المتمهل لك المجد ايها المتاني على البشر لك المجد ايها المتعطف على الناس لك المجد ايها الصالح لك السبح ايها الحكيم وحدك لك المجد ايها المحسن الى النفوس والابدان لك المجد ايها المشرق شمسه على الاشرار والصلاح والممطر على الصديقين والظلام لك المجد ايها الغاذي كافة الامم وكل الطبيعة البشرية مثل انسان لك المجد ايها الغاذي طيور السماء والوحوش والدواب والبرايا المائية مثل عصفور حقير لان كافة البرايا اياك تنتظر لتعطيها قوتها في اوانه لان عظيمة قدرتك ورافاتك سابغة على سائر اعمالك فلهذا يارب اطلب الا تطرحني مع القائلين يا رب يارب ولا يعملون مشيئتك بشفاعة كافة الذين ارضوك لانك انت تعرف الالام المكتومة فيَّ وانت خبير عالم بجراحات نفسي اشفني يارب فاني . جاهدوا يا اخوة معي بالصلوات طالبين رافات خيرية الله ونفسي

التي تمرمرت من الخطايا حلوها من الكرمة والحنة التي غصونها هي لكم . اعطوا العطشان من ينبوع الحياة الذي قد اهلتم لخدمته انيروا قلبي يامن قد صرتم ابناء النور ارشدوني انا الضال الى طريق الحياة . يا من قد ثبتم فيها . ادخلوني في الباب الملكي كما يدخل السيد عبده يا من قد صرتم للملك وارثين فان قلبي قد انسكب فلتدركني بتوسلاتكم رافات الله قبل ان اجتذب مع عاملي الاثم فهناك تنكشف سائر المفعولات في الظلمة وفي الجهر فاي شيء يدركني اذا رآني مديوناً . اين الذين يقولون اذن انني بلا عيب قد خليت الصناعة الروحانية وخضعت للآلام لا آثر ان اعلّم واشاء ان أُعلِّم لا آثر ان اطيع واشاء ان اطاع لا اختار ان اتعب وآثر ان اتعب لا اشاء ان اتمهل واشاء ان احض على العمل لا آثر ان اكرم واشاء ان أكرم . لست اشاء ان اعير وآثر ان اعير لا اريد ان احتقر واشاء ان احتقر . لا آثر ان يتكبر عليَّ احد واشاء ان اتكبر . لا اختار ان اوبخ واشاء ان اوبخ . لا اريد ان ارحم واشاء ان أُرحم . لا اشاء ان انتهر وآثر ان انتهر . لا آثر ان اظلم واشاء ان اظلم لا اختار ان اضر واشاء ان اضر . لا آثر ان اغتاب واشاء ان اغتاب . لا اشاء ان اسمع وآثر ان اسمع . لا اشاء ان انجد وآثر ان انجد . لا اشاء ان امسك وآثر ان امسك . حكيماً في الوعظ لكنني لست في العمل حكيماً اقول ما يجب ان يعمل واعمل ما لا ينبغي ان يقال من ذا لا يبكي عليَّ ابكوا عليَّ ايها الابرار والصديقون انا المضبوط بالآلام . ابكوا ايها المحبون النور والباغضون الظلمة على المحب لاعمال الظلمة لا لافعال النور . ايها المختبرون ابكوا على المنفى الغير المختبر ايها الرحومون والحافظون ابكوا على المرحوم والمفرط ايها الساهرون فوق كل مذمة ابكوا على الغريق في الاثام ايها المحبون الخير والمبغضون للشر ابكوا على المحب للافعال الخبيثة والمبغض للاعمال الصالحة . ايها المتمسكون بالسيرة ذات الفضيلة ابكوا على الذي ترك العالم بالزي فقط . ايها المرضون لله ابكوا على المرضي للناس . ايها المقتنو المحبة التامة . ابكوا عليَّ انا الذي احب قريبي بالاقوال وابغضه بالافعال . ايها المحتمون بانفسكم ابكوا على المفتش الاشياء الغريبة . ايها المقتنون للصبر والمشرون لله ابكوا على الغير صبور والعادم الشكر . ايها المشتاقون الى الادب والتعليم ابكوا على الفاقد الادب والمرفوض . ايها المتقدمون الى الله بلا خجل ابكوا عليَّ انا الغير مستحق ان اتفرس وابصر علو السماء ايها المقتنو وداعة موسى ابكوا عليَّ انا الذي اضعتها باختياري . ايها المقتنو عفة يوسف ابكوا عليَّ انا الذي

دفعتها وطرحتها · ايها المحبو مسك دانيال ابكوا عليّ انا الذي عدمته باختياري يا من قد اقتنوا صبر ايوب ابكوا على الذي صار غريباً منه يا من قد اقتنيتم مثل الرسل في عدم اقتنائهم للقنية ابكوا على المتعمد منها بعيداً · ايها المؤمنون والراسخ قلبهم في الرب ابكوا على الضعيف النفس والجبان والمنفي ايها المحبون للنوح والرافضون للضحك ابكوا على المحب الضحك والمبغض النوح يا من قد حفظتم هيكل الله بلا دنس ابكوا عليّ انا الذي قد دنسته ووسخته · يا من يتذكرون الفراق والطريق التي لا عفو منها ابكوا على الغير ذاكر ولا متسوم لهذا السفر يا من قد تصورت في عقولهم الدينونة التي بعد الموت ابكوا على المعترف بذكرها والغافل عنها يا وارثي ملك السموات ابكو على الوارث جهنم النار ويلي انا الذي لم تترك فيّ الخطية عضواً صحيحاً او حاسة لم تفسدها وانا لا هم لي والتجار على الابواب قد وقف وانا لا هم لي يا اخوتي هانذا قد كشفت لكم كلوم نفسي فلا تتوانوا فيّ انا المتألم لكن اطلبوا الى الطبيب في امر السقيم الى الراعي من اجل الخروف الى الملك من اجل الاسير الى الحياة من اجل المائت لانال الخلاص الذي يسوع المسيح ربنا من الخطايا المطيفة بي ويرسل نعمته ويؤيد نفسي التي تزلق بسرعة فاني مستعد لمقاومة الآلام وحين ملاحمتي اياها تحل رداوة حيلة الثعبان باللذة نفسي وتقيدني ماسوراً وانشط ان اجلب المحترق خطراً عليّ حرارة النار فتجذبني الى وسط لهيبها اخفر الى استخلاص الغريق ومن عدم الدربة اغرق معه · اشتهي ان اصير طبيباً للآلام وانا نفسي مضبوط بها وعوض المداواة اجرح من المريض انا لم ازل اعمى واروم ان ارشد العميان فلذلك انا محتاج الى صلوات كثيرة حتى اعرف قدري ولكي تظللني نعمة المسيح وتضيء قلبي المظلم وتسكن فيّ عوض الجهالة معرفة الهية لانه لا يصعب على الله كل كلمة هو منح شعبه في البحر الذي لا يسلك مسلكاً هو امطر لهم المن ومن البحر ارسل لهم سلوى كرمل البحر · هو منح العطاش ماء من صخرة صلبة هو وحده خلص بصلاحه الواقع بين اللصوص وبتحنن صلاحه يخلصني انا الواقع في الخطايا المغلوب مثل مكبل بسوء الراي فليست لي دالة لدى الفاحص القلوب والكلاء ولا يستطيع احد ان يشفي وجع نفسي الا هو العالم اعماق القلب كم من مرة وضعت في ذاتي حدودا وابتنيت حيطاناً بيني وبين الخطية الخاطمة الشريعة وبين المعاندين الذين يخطرون من النتائج المضادة

الخواطر للحرب فعبر ذهني الخصوم وهدم الحيطان لان الخصوم لم تكن لها قوة صائنة بخشية من هو افضل من الكل والحيطان لم تؤسس على التوبة الخالصة · فلذلك اقرع الآن ليفتح لي والبث طالباً لانال المطلوب لكن لا اخجل له اطلب ان ارحم · يارب انت ايها المخلص قد وهبت لي خبريتك وانا كافاتها بالمساوي تهز عليّ انا الجافي فلست اسال عفواً عن كلمات باطلة بل انا اطلب من خبريتك صفحاً عن اعمالي التي لا بر فيها يارب جردني من كل فعل خبيث قبل ان يدركني المجاز حتى اجد في ساعة الوفاة نعمة امامك لان ليس في الهاوية من يشكرك · يارب خلص نفسي من المخافة المنتظرة وبيض حالتي الوسخة من اجل رافاتك وصلاحك لكي اذا سربلتني بالبياض انا الغير مستحق أوهل لملك سماواتك واذا حصلت في السرور الذي لا ينقرض اقول المجد لمن استخلص نفساً مغمومة من فم السبع وجعلها في جنة النعيم لان لك يليق المجد ايها الاله الكلي قدسه امين

المقالة الثالثة

في هدم الكبرياء

كل نسك كل حمية كل طاعة كل هجر قنية كل غزارة التعليم باطلة اذا كانت عادمة تواضع الراي كما ان ابتداء الصالحات وكمالها هو التواضع هكذا ابتدأ الشرور ومنتهاها هو شموخ الراي وهذا الروح النجس هو كثير الانواع وكثير الصور فلهذا يجتهد ان يتسلط على الكل · واية صناعة تصرف فيها كل احد ينصب له فيها فخه فالحكيم يتكبر بحكمته والقوي بالقوة والغني بثروته والحسن الوجه بجماله الدرب النطق بالكلام الطيب النغمة بحسن صوته الحاذق في الصنعة بحذاقة الصنعة الجميل التصرف بحسن تصرفه وكذلك لا يفتر من تجربة الروحانيين فالطائع يتحنه بالطاعة اي يتعظم بطاعته والماسك بالمسك والصامت بالصمت والعادم القنية بهجر القنية والجزيل العلم بسرعة تعلمه والمتورع بحسن الورع والعالم بالعلم · فالمعرفة الحقيقية انما هي مقترنة بالتواضع · ولهذا يحرص ان يزرع في الكل الزوان الذي له · فلذلك لما عرف الرب هذا الالم انه اينما ناصل يطوح ذلك الانسان مع العمل الذي له اعطانا ضده التواضع سلاحاً قائلاً · اذا عملتم

سائر الاوامر التي امرتم بها فقولوا اننا عبيد بطالون. فلم نجذب الى انفسنا الخفة ومضرة العقل والرسول يقول. ان ظن احد انه شي. فانما يخدع عقله وكل احد فليختبر عمله وحينئذ فليكن افتخاره في ذاته لا على احد اخر. فلم نخادع ذواتنا ويترفع بعضنا على بعض فان كنا شرفاء في العالم ونستحقر الادنياء فانا نجد الرب يعلم ان الحظوظ السامية عند الناس مرفوضة عند الله وان كنا متمسكين فتمادى على الضعفاء لكن الرسول يوبخنا قائلاً ليس من يثبت امر نفسه ذاك هو المدرب المهذب بل الذي ثبت امره الرب وان كنا نتعب في الخدمة اكثر فنستعظم براينا على الصامتين فانا نجد الرب يمدح مريم اكثر لانها اختارت الحظ الصالح وان كنا صامتين فنترفع على المتعلدين بالخدمة فانا نصادف الرب يعلم ايضاً قائلاً. ما جئت لاخدَم بل لاخدُم وابذل نفسي فدية عن كثيرين كي في كل امر ينبغي ان نقصي استعلاء الراي وان كنا جلوساً في مكان هادي ومبيض مصقول نتشامخ لكن ماذا ينفعنا عمل المكان ان لم نعمل بتواضع اذ الرسول يقول لا نراقب الاشياء الارضية المرئية بل التي لا ترى لان الامور التي ترى وقتية والتي لا ترى ابدية وان كنا نسكن في جب او في مغارة نتنفخ فهذه سمات الوفاة وعدم الهم بالامور العالية فالامر الذي اخترته لذاتك لتقويم الفضيلة لا يصيرن لك سقطة الكبرياء فتضاهي طنبيرا لا فهم له ولا يعرف العمل الذي له وعوض قطعة حديد تروم ان تحمي عوداً فتحتاج ان تتخذ التواضع بقوة. وان كنت موسراً وحاوياً حدود العدل فانك لم تبلغ الى حدود ابرهيم الذي جعل ذاته تراباً ورماداً. وان كان فوض اليك الاهتمام بالشعب فموسى قد تقلد الاهتمام لا برئاسته شعب عدده الف فقط لكن كثرة شعوب. لانه بعد ان ضرب الله مصر بيد موسى وهرون ونشف ارض البحر الاحمر وسير اسرائيل بلا بلل وعبرهم تلك البرية المرهبة اقبلوا الى قرب تخوم اهل مواب فابصر اهل مواب كثرة الشعب كما كتب ان مواب قال لمشيخة مدين ان هذا الجمع يلتحس كافة الاشياء التي حولنا كما يلتحس العجل النبات الاخضر من البقعة لانه كان احصى الشعب سوى النساء والصبيان وقبيلة اللاويين من ابن عشرين سنة وما فوقها كل من ينتصب في مصاف الحرب من اسرائيل فكان عددهم ستمائة الف وثلثة الاف وخمسمائة وخمسين رجلاً وكل هؤلاء كان موسى رئيساً عليهم وصار مناجياً لله ومعاينا مجد الرب فلم يترفع قلبه ولا توانى في

التواضع فقد شهد عنه الكتاب المقدس قائلاً. والانسان موسى كان وديعاً جداً اكثر من كافة الناس الموجودين على الارض. وان كنت بهي الوجه وقوي البأس وعليك التاج موضوعاً فانك لم تبلغ الى حدود داود الملك الذي واضع ذاته قائلاً. انا دودة ولست انساناً. وان كانت لك معرفة وحكمة ومسك فانك لم تبلغ الى حدود الثلثة فتية ودانيال النبي الذين اما احدهم فقال يارب انت هو العدل ونحن فلنا خجل وجهنا الى هذا اليوم واما الثلاثة فتية فابتهلوا بنفس محروقة وروح متواضع فان كان الصديقون اوضحوا مثل هذا التواضع فكم يجب ان نكون نحن الخطاة اكثر تواضعاً لان من يترفع ويعظم رايه فذاك هو عقل البشرة كما يقول الرسول ان كنتم تعيشون بالبشرة فستموتون وان كنتم تميتون بالروح افعال البشرة فستعيشون وغير ممكن ان يمسك الآلام من لم يقوم الفضيلة اولا اوما قد سمعتم كم من مصاعب احتملها الرسول بولس عن الامانة البهية لانه كتب الى اهل قورنثيوس يقول في الاتعاب ازيد جداً في العقوبات اكثر كثيراً جلدت من اليهود خمس مرات اربعين الا واحدة ضربت بالعصا ثلاث دفعات رجمت دفعة غرقت ثلاث دفعات امت في العمق يوم بليلة وفي الاسفار سافرت مراراً كثيرة احتملت معاطب الانهار ومخاوف اللصوص معاطب من جنسي ومصاعب من الامم معاطب في المدن ومخاوف في البرية معاطب في البحر مصاعب من الاخوة الكذبة بالتعب وبالحرص في الاسهار مراراً كثيرة بالبرد بالجوع والعطش بالاصوام دفعات كثيرة بالبرد والعرى وما يتبع ذلك. اترانا نستطيع نفغر فاً. وابصر فضله بعد مثل عظم هذه المعاطب وبعد مثل جسامة هذه التوبيخات كيف واضع ذاته وقال ايها الاخوة انا ما احتسب ذاتي اني قد اخذت شيئاً فقال هذه الالفاظ لينفي التشامخ عالماً اي رجز يحل بمن يعشقه. من يتشامخ يشبه من يعبد الله بتقويماته كما في الامور البشرية من اعطى قريبه عطية وتشامخ عليه فقد سلب صلاته ونقض صداقة قريبه ولهذا من هو هكذا فهو مرذول. فلاجل هذا آثر الرب المترئف بحياتنا ان يجعلنا غرباء من هذا الالم المفسد فعلم قائلاً. اذا صنعتم كل البر فقولوا انا عبيد بطالون فان لم نصنع ذلك لا نكون اكفاء ولا نسمى عبيداً بطالين لان ربنا عظيم ومواهبه عظيمة جسيمة وقوية ولنعلم ان الرب ما علمنا ان نتواضع قولا فقط بل ادبنا ان نتواضع رائنا بالفعل اتزر بمئزر وغسل ارجل

وسلمه فلذلك قال تعلموا مني فاني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لانفسكم
فاذا وافتك المحزنات بخلاف نيتك وصبرت عليها كان ورودها كأنه في نيتك
فتعرف حينئذ ذاتك انك قد بلغت الى حدود انسان ذي فضيلة ومتواضع
وتذهل اذا عرفت كيف احتملت الفكر الخادع الذي اخطر لك الرؤيات الظانة
وكان يقول لك انك عتيد ان تواخذ بهما بل الاولى بك كما نزعت رؤياتك
من مثل هذا الامر ان تقول لذاتك انت من انت الى اية حدود قد وصلت هل
انت ايليا اتراك صنعت عجائب مثل ذاك فانه بصلاته اغلق السماء فلم
تمطر مدة ثلاث سنين وستة اشهر ثم بصلاته ايضاً اعطت السماء مطراً وبصلاته
ايضاً احدر من السماء ثلاث مرات ناراً وان كنت اقتنيت الامانة كلها فاعطنا
خبرة بذلك ارنا جرايح وآيات اقم بصلاتك موتى افتح اعين عميان اطرد جناً
نق برصاً اقم زمناً امش على البحر كمشيك على الارض اليابسة حوّل الماء خمراً
اشبع بصلواتك من الخمس خبزات وسمكتين جموعاً كثيرة لانه صادق هو القائل.
الحق اقول لكم ان من يومن بي يعمل الاعمال التي صنعتها انا واعظم منها يعمل لكن لعل
احد يعير فيقول فان لم يعمل احد تلك الاعمال والامور اللائقة بالله لا رجاء خلاص له
بل لنا رجاء خلاص ان اعترفنا بضعفنا وقلة اماتنا وان لم تعمل هذه بنا لان الضعيف
انما يلتمس رحمة لا تعظما فان كنا محتاجين الى الرحمة واياها نطلب فنحتاج الى التواضع
لنجذب بالتواضع الرافات الينا من الله لانه قد كتب انه بتواضعنا ذكرنا الرب وافتادنا
من اعدائنا وايضاً تواضعت فخلصني وان كنا نستند على الرياح ونعظم رأينا فلسنا
صانعين شيئاً آخر الا انا نكردس ذاتنا ونزجها في اللجة. فلا تقبلن مرض
الكبرياء ليلا يسرق العدو رؤياتك بغتة اذاً فق من تسامى فكر الاعتداد بالذات
لاتلف شبكته على رجليك ارحض بالتواضع ذهنك ونظفه من هذا السم القاتل
ليوبك رسم الذي يكنس بيته كيف ينحني الى الارض وينظفه فكم يحتاج باكثر
ان تنحني باهتمام كبير وتتضع من اجل تنظيف النفس لا تترك فيها الاشياء
التي يمقتها الله لانه في النفس المتواضعة يسكن الآب والابن والروح القدس فانه
مكتوب اية شركة للبر مع الاثم او اية مساهمة للنور مع الظلمة واي اتفاق للمسيح مع
المارق واي حظ للمومن مع الكافر واية موافقة لهيكل الله مع هيكل الاوثان نحن
هيكل الله كما قال الله اني ساسكن فيهم وامشي بينهم واكون لهم الهاً وهم يكونون

لي شعباً لهذا اخرجوا من بينهم وتميزوا منهم قال الرب ولا تمسوا دنساً وانا
اقبلكم واكون لكم اباً وتكونون انتم لي بنينا وبنات يقول الرب الممسك الكل.
فاذاً لنا مثل هذه المواعيد يا احبائي فلنطهر انفسنا من كل دنس البشرة والروح
مكملين قداسة بخشية الله. فاذا اجتهدت اذاً ان تخرج من الامور العالمية وتنفذ ل
من مصاعب العالم الشرير جاهد جهاداً متكاثراً حذراً حينئذ من ان تشارك روح
الكبرياء النجس ليقبلك الرب لان نجس بالحقيقة عند الله كل متعالي القلب. اما
تخطر ببالك تلك النار التي مزمع ان نعبر فيها. اذا عبرنا في تلك النار واستوضحنا
انقياء بلا عيب حينئذ نعرف ذاتنا من نحن لان ذلك اليوم يوضح عمل كل احد كما
كتب انه بالنار يختبر. فلنتضرع للرب بتواضع كثير ان ينقذنا من الخوف المنتظر ويوهلنا
لذلك الاختطاف حين يختطف الصديقون في السحب الى الهواء لاستقبال ملك المجد وان يورثنا
مع الودعاء المتواضعين ملك السموات لانه كما قال مغبوطون المساكين بالروح
بان لهم ملك السموات كذلك ويل للمتكبرين والمستعلين برايهم فان لهم اتون
النار. لانه في الكبرياء يسكن القائل. اصنع بقوتي وبحكمة فهمي انتزع تخوم
الامم. وارتقي قوتهم وازلزل مدناً مسكونة واتناول المسكونة كلها بيدي مثل
عش واحملها كبيض مهمل ولا يفلت احد مني او يقاوم قولي. لكن الرب
الاله رب الاجناد يرسل الى كرامتك هواناً. والى شرفك نار متوقدة تحرق. وايضاً
انت قلت في ذهنك لاصعدن الى السماء ولاضعن كرسي فوق نجوم السماء.
ولاجلس في الجبل الشامخ على الجبال الشاهقة نحو الشمال وارتقي فوق الغيوم.
اكون نظير العلي. فالان الى الهاوية تنزل والى اساس الارض. فلنهربن منذ
الان من الكبرياء التي يبغضها الرب. ولنحب تواضع العقل الذي به ارضي
الرب جميع الصديقين. لان تواضع العقل قربان جسيم قدره وشرف عظيم ونجاح
نفيس وكرامة جزيلة للذين قد اقتنوه لان فيه سعي لا يمسك وحكمة كاملة
لانه باستعلاء الراي ذل قدر ذاك الفريسي. وبتواضع العقل ارتفع شان العشار
الذي معه يوهلنا الرب للحظ الذي لا يبلى مع كافة الصديقين. فان به يليق المجد الى
الابد امين

المقالة الرابعة

في الحض على التوبة

تعالوا يا احبائي هلموا يا ابائي واخوتي يا رعية الاب المنتخبة. يا جند المسيح الموسومون تعالوا فاسمعوا قولا يخلص نفوسكم. هلموا فلنتجر ما دام الموسم واقفاً تعالوا فلنجد حياة ابدية هلوا فلنبتاع خلاص نفوسنا . املاوا اعينكم دموعاً ففي الحين تنفتح اعين ذهنكم تعالوا كلنا اجمع الاغنياء والفقراء الروساء والمرؤوسين الشيوخ مع الشباب الابناء والبنات وكل البنين المريدين ان ينجوا من التعذيب الخالد ويصيروا لملك السماء وارثين . فلنتضرع مع القديس داود الى الرب الرحوم المتعطف على الناس قائلين اكشف حجاب عيني فاتامل من ناموسك عجائب. ازرعيني لئلاّ انضجع للوفاة. ولنهتف كما هتف الاعمى . يا ابن الاله ارحمني . فان منعنا قوم وانتهرونا لنصمت فلنصرخ نحن اكثر ولا نضجر من الصراخ الى ان يفتح يسوع المعطي النور اعيننا فلو بنا تقدموا الى المسيح اقتربوا منه واستضيئوا فلا تخزى وجوهكم واتخذوا فكرًا سديدًا وشوقًا الى الملك والفردوس تهاونوا بامور هذا الدهر اجتهدوا في هذه الساعة الحادية عشرة حاضروا لئلا يغلق الباب دونكم فقد قرب المساء الذي يوافي فيه المعطي الاجر بمجد جزيل ليعطي كل احد نظير اعماله ولنتوبن يا اخوتي ما دام لنا وقت فقد سمعتم ما ذا يقول المسيح ان فرحاً يصير في السماء بخاطيء واحد يتوب. ايها الخاطيء لم تتوانى لم تيأس ان كان يصير في السماء فرح اذا تبت فممن تخاف ان الملائكة يسرون وانت تتوانى رئيس الملائكة هو الكاروز بالتوبة وانت تهرب الثالوث الطاهر والذي لا يوسع والمسجود له يستدعيك وانت تتنهد. لا يحل لنا اهتمام العالم لئلا تحرمنا النار الخالدة والدود الذي لا يرقد فلنبك ههنا قليلا لئلا نبكي هناك اذا عذبنا بكاء مؤبدًا احذروا الا يتوانى احدكم فان ورود المسيح يصير بغتة كبرق خلب اما ترهبون ان في تلك الساعة ينال كل احد نظير اعماله كل احد يحمل وسقه كل احد يحصد ما زرع كلنا نقف عراة قدام عرش المسيح وكل احد منا يعطي القاضي جوابًا. في تلك الساعة لا يستطيع احد ان يغيث احدًا لا اخ اخاه ولا والدون ابناءهم ولا اولاد اباءهم ولا اصدقاء خلانهم ولا رجل قرينته لكن كل احد يقف بخوف ورهب منتظرًا

ان يسمع القضية من الله. فلم نضجع فيما بعد ولا نستعد لماذا لا نهتم الحجج لاعتذار ما دام لنا وقت لم نتهاون بالكتب المقدسة وبكلمات المسيح او تظنون ان اقواله واقوال القديسين لا تدينُنا في ذلك اليوم بحضرة المقام المرهب ان لم نحفظ ونعمل كلها لوصيتنا. قد سمعتم ماذا يقول الرب للتلاميذ من يسمع منكم يسمع مني ومن يخالفكم اياي يخالف ولابي وفي فصل آخر يقول ايضاً من يخالفني ولا يسمع اقوالي انا لا ادينه لكن لهُ من يدينه القول الذي قلته ذاك يدينه في اليوم الاخير. ترى اي قول مزمع ان يديننا في ذلك اليوم الاخير هو انجيله الاقدس وباقي كتب الانبياء والرسل المقدسة فلهذا اطلب اليكم يا اخوتي الا تتهاونوا بالمكتوبات. ان السماء والارض يزولان واما اقوال المسيح فلا تتغير هلموا يا اخوتي قبل ورود ذلك اليوم الرهيب. فلنلق انفسنا في لجة رافات الله. فهو الاله فيتقدم ويأس ويستدعينا كلنا قائلاً. تعالوا اليّ يا كافة المتعوبين . والثقيلي الاحمال وانا اريحكم . فالمحب للناس. والمحتمل البشر يستدعي كل وقت الكل. المتحنن والمتمهل الذي يريد ان جميع الناس يخلصون. لم يأمر باستدعاء المختصين به فقط. بل يستدعي الكل. تعالوا اليّ كلكم. وان كنت موسرًا. او مقترًا فان المقبل اليّ لا اخرجه خارجاً من هو المقبل اليّ. الذي عنده وصاياي ويقبلها ويحفظها. الذي يسمع قولي ويومن بمن ارسلني. مغبوط من يسمع قوله ويحفظه. وشقي من يخالفه. فان ذلك القول يدينه في اليوم الاخير. كما كتب مرهوب هو الوقوع في يدي الله الحي. تب ايها الاخ ولا تجبن. تب ايها الخاطي واثقاً وناظرًا الى تعطف المسيح الذي لا يحصى . القائل ما جئت لادعو صديقين فقط. بل خطاة الى التوبة . تب لئلا تخجل امام المقام المرهب . حيث نقف بخوف حيث الوف وربوات ملائكة وروساء ملائكة حين تصير الاشياء المكتومة ظاهرة. حين تفتح الكتب. حين يفرز بعض من بعض. كما يفرز الغنم من الجداء . بالحقيقة انها ساعة لمرهبة ومجزعة . لان الحاكم عدل . مهوب مذهل. من ذا لا يخاف. من لا يجزع من تلك الساعة . لان القاضي قوي الاقتدار. ومجلس القضاء غير مستشفع واعمالنا تكون منتصبة امام اعيننا ونهر النار قبالة الموقف وتسبيح الملائكة مع الصديقين بلا صمت. ونحيب الخطاة غير محتمل. والدموع غير نافعة. حينئذ تفتح الكنوز. والصديقون يتمتعون. مغبوطون الذين عطشوا وجاعوا. فانهم هناك سيشبعون وويل للشباعى. فانهم هناك يجوعون ويعطشون. والطوبى للذين افتقروا وبكوا.

فانهم هناك يضحكون ويعزون . وويل للذين يضحكون الآن . فانهم هناك ينوحون ويبكون بلا فتور . والطوبى للذين رحموا فانهم هناك سيرحمون . والويل للذين لا رحمة لهم . لقد سمعتم كيف يطوب المجاهدين وكيف يعطي الويل للمتوانين فاذ لنا مثل هذه كلها فلنحرص ان نخلص . ولا نبصر الى المتنعمين والمتوانين . فانهم كالحشيش يجفون سريعاً . لا نحب هذا الدهر فانه يبرقل الذين يحبونه . يطرب مقدار ساعة ويرسل الانسان الى ذلك العذاب عارياً . اسمع واصغ الى الكتب الالهية . فلا تغتفل ولا تنخدع من هذا العالم الخبيث . اسمع هذا يقول يوحنا المتكلم في اللاهوت . لا تحبوا العالم ولا شيئاً مما فيه . فان سائر الاشياء التي في العالم هي شهوة البشرة . وشهوة العيون . والعالم يعبر . ومن يعمل مشيئة الله يبقى الى الابد . اسمع الرب يقول ماذا ينفع الانسان ان ربح العالم اجمع وخسر نفسه . اصغ بمبالغة الى كلامه . فان القول الذي قال وعلم به ذلك بديننا في اليوم الاخير أترى الرب كاذباً حاشا . لانه هو الحق . فان كنت تعرف بمبالغة انه هو الحق وان اقواله غير كاذبة فلمَ تتوانى يا شقي . ماذا تتوقع . ماذا تفتكر . من يعتذر عنك . اما قد عرفت ان كل احد يعطي عن نفسه لله جواباً . اما قد استيقنت ان كل احد يحصد ما زرع . وكل احد يحمل وسقه فاذ ثـ وقت فبدد وسق خطاياك فان الاله العطوف على الناس يستدعيك قائلاً . تعالوا اليَّ يا معشر الموقرين . فاذ يأمر الكل بهذا فلا ييأس احد . ولا يجترئ احد ان يقول انني ما اخطأت . فان من يقول ما اخطأت فذلك اعمى ومكفوف واشقى كافة الناس . لان يوحنا الانجيلي يقول . ان قلنا ان لا خطيئة لنا نكذب . ولا نعمل الحق ونخادع انفسنا ونجعل الله كاذباً . لان ليس احد نقياً من وسخ فماذا اذاً . ان الحاجة ماسة الى الدموع لنغسل وسخنا قائلين مرتين مع داود القديس اغسلني فابيض اكثر من الثلج . وايضاً احمم في كل ليلة سريري . وابل فراشي بعبراتي وذاك انما اخطأ ليلة واحدة فبكي كل ليلة . فلذلك استوضح مغبوطاً . لان النبي سبق فابصر بمبالغة القائل الطوبى للذين ينوحون . لا تتوقن الى شيء من اشياء هذا العالم الزائل . ابغض الثياب الناعمة والزينات والوشاء . امقت تلوينات الاصباغ الصفف التزين التبخذر الاغاني الشيطانية والمعازف والصفارات وتصفيقات الايدي والاصوات الغير مرتبة الوحشية . اولا تعلم يا شقي ان هذه كلها بدور الحال . هذه كلها يعملها امم العالم الذين لا رجاء خلاص لهم فلا نماثل الامم لئلا ندان

معهم . قد سمعتم الرسول يقول . هذا اقوله واستشهد بالرب . الا تسلكوا ايضاً كما تسلك الامم باغترار عقلهم المظلم ذهنهم . فاذ قد تركنا اعمال الامم فلا نعود الى الاشياء التي وراء اي التي قد سلفت ونعملها ايضاً قد جحدت دفعة الشيطان وملائكته ووافقت المسيح بحضرة شهود كثيرين . فانظر لمن قد وافقت وعاهدت ولا تستهون به واعرف هذا . ان في تلك الساعة كتب ملائكة اقوالك ومعاهداتك وخضوعك وخباؤها في السموات الى يوم الدينونة الرهيب فمن اجل هذا لا تخشَ ولا تفرق اذ في يوم الدينونة يحضر الملائكة كتاب الوثيقة التي عليك وكلمات فمك امام المقام المرهب حيث يقف الملائكة مرتعدين وحينئذ تسمع الصوت الموبّل . ايها العبد الخبيث من فمك ادينك بالحقيقة انك تتنهد حينئذ تنهداً مراً وتبكي في تلك الساعة ولن ينفعك شيء ارحم نفسك ولا تبغض مهجتك . افتح عينيك وابصر كيف ان قوماً كثيرين يجاهدون كيف يحرصون ان يخلصوا كيف يكلفون ذواتهم في كل عمل صالح . كيف يحفظون ذاتهم من الحسد من الفسق من البغض من الضحك من الزناء من التنعم من الخصومة كيف قد احبوا الطريق الضيقة صياماً ساهرين ملازمين الشقاء وباكين . كيف قد اعدوا مصابيحهم بهية . كيف يسبح فمهم كل حين ويمجد الختن الذي لا يموت وعيونهم متاملة جماله ونفوسهم مبتهجة . تامل وانظر انه قد قرب ولا يبطيء لانه يجيء ليفرح الذين يحبونه يأتي ليعزي الذين ناحوا وبكوا لا على المائت ولا على خسران المال الوقتي بل من اجل الخطية السهل اقتعالها ومن اجل الملك الذي لا نهاية له ومن اجل نعيم الفردوس المطرب الذي اخرجنا منه لما خالفنا وصية الله حيث يعود اليه ايضاً النائحون والباكون يجيء ليكلل الذين جاهدوا بفرض الجهاد الذين احبوا الطريقة الضيقة الضاغطة يوافي ليرحم الرحومين يجيء ليطوب الذين تمكنوا من اجله يأتي ليشبع الذين جاعوا من اجله وعطشوا من الخيرات يجيء لينير مكنونات الظلمة ويظهر اراء القلوب ولمَ لا اقول قولاً وجزماً يجيء ليعطي كل احد بنظير اعماله يجيء لا من الارض كما جاء في المرة الاولى لكن من السموات بقوة ومجد كثير حينئذ تضرب الابواق انتزع قوات السماء وترتعد الارض كلها كالبحر من قبل مجده ويجري امامه نهر نار ينظف الارض من الآثام حينئذ يصير بغتة صوت ها الختن يجيء . ها السرور المنتظر يوافي وها فخر الصديقين شمس العدل مقبل ها ملك المتماسكين وارد الذي لا انقضاء لملكه ها القاضي العدل آتٍ فمذ

الآن اخرجوا الى استقباله سريعاً وحينئذ يوافي ليفرح الذين لهم مصابيح مضيئة وحلتهم منيرة فيسمعون صوت الختن قائلاً تعالوا يا مباركي ابي رثوا الملك المعد لكم من قبل انشاء العالم فلما يعبر هذا الصراخ مسموعاً من الكل يخرج الى استقباله الذين لهم مصابيح مضيئة بهية بدالة جزيلة مبتهجين واثقين ان مصابيحهم لا تنطفي. حينئذ اذا رايت ذاتك في غم عظيم في خيبة رديئة وشدة غير محتملة واذا عاينت مصباحك انطفأ تقول بخزي وخجل يا اخوتي اقرضوني زيتاً قليلا فقد طفي مصباحي فيجيبونك قائلين لعله لا يكفينا واياك لكن اذهب الى الذين يبيعون فاشتر فتمضي بخزي وتوجع وتنهد مر باكياً فلا تجد البتة زيتاً تشتريه لانه قد انحل موسم الحياة وكل حياتهم ترتعد كالبحر قد انصرف الفقراء الجالسون حول ابواب الكنائس الذين يبيعون الزيت هناك. فتضيق بك الامور من كل جهة وتحير باكياً متنحباً قائلاً امضي فاقرع باب المسيح لكن من يعرف ان كان يفتح لي فاذا جئت تقرع يجاوبك الختن من داخل حقاً اقول لك لست اعرفك انصرف عني يا عامل الاثم ما رحمت فلا ترحم ماسمعت صوت الفقراء ولا انا اسمع صوتك كنت تسمع كتبي المقدسة وتحك فلهذا لا اطلق لك ان تدخل. نبذت اوامر انبيائي ورسلي فلهذا القول الذي قلته ذاك يدينك في هذا اليوم الاخير انصرف عني لم يقبلك الباب الضيق خضبت بشرتك وقتلت نفسك وكيف تؤثر ان تدخل ههنا وتدنس مملكتي دنست بشرتك واوعبت فمك فرقاً وثلباً وعملت مشيئات المحال واطرحت مشيئاتي وابغضت قريبك والآن تتضرع ان تدخل الى حيث لم ترسل شيئاً حيث ليس لك شيء موضوع لا دموع ولا بكاء ولا صوم ولا سهر ولا تسبيح ولا بتولية ولا صبر ولا صدقة ولا شيئاً من هذه تقدمت فانفذته الى ههنا. فاذا تطلب هذا مسكن انما يسكنه الذين تمسكنوا من اجلي هذه المملكة للرحومين هذا الفرح للناحين هذا السرور للنادمين والتائبين هذه النياحة للصائمين والساهرين هذه الحياة لليتامى والارامل ههنا يفرح الذين جاعوا وعطشوا فرحاً مؤبدا فانت قد اخذت خيراتك في حياتك انصرف عني الى النار المؤبدة. هذه تسمعها واقفاً خازياً ومطرقاً الى اسفل وفي حين وقوفك يوافي الى اذنيك صوت الفرح والابتهاج وتعرف صوت كل واحد من رفقائك فحينئذ تتنهد تنهداً مراً قائلاً ويلي انا الشقي كيف عدمت هذا المجد وتميزت من رفقتي كنت معهم طول ايام حياتي والآن انفصلت منهم. بالحقيقة اصابني هذا بواجب الآن. كان اولئك يحتمون عن الاغذية وغيرها

وانا كنت ابادر الى الاغذية والاعشية كان اولئك يرتلون وانا صامت كان اولئك يصلون وانا اتنزه كان اولئك يواضعون ذاتهم وانا اتكبر كان اولئك يستهونون بذاتهم وانا اتزين كانوا يبكون وانا اضحك فلهذا الآن اولئك يبتهجون وانا انتحب اولئك يسرون وانا ابكي يتملك اولئك مع المسيح الى الدهور التي لا تنفد وانا ارسل مع معاند المسيح الى النار الخالدة الويل لي انا الشقي ماذا داخل بي كم خيرات قد عدمتها لكيما اعمل مشيئة المحال زمناً يسيرا الآن علمت ان كل احد ياخذ نظير اعماله الآن علمت ان العالم الغرار لها بي واعتقلني واهاً كم خيرات اعدمت نفسي وكم شرور اجلبتها على ذاتي. هذه ونظائرها تقولها منتحباً لكنك لا تنتفع بها لان هناك ليست منفعة من التوبة والندامة. فمن اجل هذا توصينا وتناشدنا الكتب المقدسة كتب الرسل والانبياء والقديسين ان الحظوظ الصالحة التي اعدها الله للذين احبوه ما راتها عين ولا سمعتها اذن ولا خطرت على بال انسان فقد سمعت ايضاً الرب يقول لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد وفي فصل آخر يقول ايضاً الطوبى للمطرودين من اجلي ولهذا يقول الرسول لا تخدعوا فان الله لا يخادع. الشيء الذي يزرعه الانسان اياه يحصد فمن يزرع في بشرته يحصد من بشرته بلاء ومن يزرع في روحه يحصد من الروح حياة خالدة لان الذين يزرعون بدموع يحصدون بابتهاج. اصغوا يا اخوتي وتذكروا المكتوبات فقد زعم خرج الزارع ليزرع زرعه. فمن هو الذي خرج وزرع هو ربنا يسوع المسيح سيد المنزل الخطير. ماذا زرع. قول البشارة. وصاياه المقدسة. اين زرعها. في اية ارض. في قلوب الناس. في كافة اقاصي الارض. لكن الكل لم يسمعوا الانجيل. ولا كلهم يعملون فلاحات لكيما اذا وقع زرع الرب يعمل ثمراً. لكنهم في ارض بور. وذات شوك وخديعة. يقبلون قول الانجيل. واذ هم متصرفون في امور العالم. وثروته ولذاته. يختنقون ولا يعطون ثمراً. فانتم يا احبائي قوموا قلوبكم ومهدوها لقبول بشارة الانجيل. ولا يخنق قلبكم اهتمام العالم الكثير. فلنسع من اجل الحاجة. لا من اجل التنعم. ولنرض بالقوت الكافي. ان لازمتم التنعم والاستكثار فسيكون تعبكم كثيراً وجريكم لا يقف اصلاً وغمكم لا ينتهي وعيشكم كثير الاهتمام يا اخوتي ان الحاجة الى شيء واحد كما قال الرب. وهذه الاشياء يجب ان نصنعها في جزء من همنا. من اجل اضطرار الجسد وتلك الفضايل يجب ان نصنعها بلا فتور من اجل خلاص النفس لان ليس شيء اعلى قدراً من النفس فمن اجلها يا اخوتي فلنحاضر ونهتم ونستعد كل يوم ولا نفن كل زماننا

في الاهتمام بالجسد لكن اذا جاع الجسم وطلب طعاماً فتذكر انت ان النفس تطلب حاجتها وكما ان الجسد ان لم يستعمل خبزاً لا يستطيع ان يعيش كذلك النفس ان لم تتغذى بالحكمة الروحانية فهي مائتة لان الانسان مركب من نفس وجسد فلذلك قال المخلص . انه ليس بالخبز يعيش الانسان فقط فانت اذاً كقهرمان نجيب اعط النفس اغذية النفس وامنح الجسد اغذية الجسد ولا تطعم جسدك وحده وتترك نفسك مقفرة مائتة بالجوع . لا تدع نفسك تموت لكن اغذها بالاقوال بالمزامير بالتسابيح بالترنيمات الروحانية بقراءة الكتب الالهية بالاصوام بالاسهار بالصلوات بالعبرات بالرجاء والدراسة في الخيرات المستانفة هذه ونظائرها هي طعام النفس وحياتها . احذروا يا اخوتي ان يوجد احدكم غير مثمر من يزرع في بشرته تنعم العالم تنعماً الاغشية والاغذية من بشرته يحصد بكاء ومن يزرع في الروح صلاة وسهراً وصوماً من الروح يحصد حياة الابد . تاملوا وابصروا ان المتنعمين لا يمدحهم احد اصلاً ولا المتنزهين ولا الضاحكين لان هذه تصنعها الامم فاما الشريعة التي لنا فهي هذه . مغبوطون المساكين بالروح الطوبى للنائحين الطوبى للرحومين الطوبى للمطرودين الطوبى للمعيّرين الطوبى للاتقياء القلب الطوبى للمتمسكين بالحمية الطوبى للذين حفظوا المعمودية طاهرة الطوبى للذين يزهدون في هذا العالم من اجل المسيح مغبوطة اجسام الفوانق الطوبى للذين لهم نساء وكأن ليس لهم الطوبى للمتيقظين والمصلين الطوبى للذين يقدمون نظرهم الى الوارد لدين الاحياء والموتى الطوبى للذين يبكون في صلواتهم هذه الفرائض المستقيمة هي امانتهم الالهية . اي كتاب يطوّب الذين يصفرون ويعزفون او الذين يضحكون او الذين يتنعمون او المتكبرين والمعربدين او الذين يرقصون والمحبين للعالم هذه الاشياء التي في العالم لم تامرنا بها شريعتنا ولم تشر اليها . هذه لم يعلّم بها ربنا لكن يوبّخ من يستعملها قائلاً الويل للضاحكين الآن فانهم سيبكون وينوحون الويل للشباعى فانهم سيجوعون الويل لكم ايها الاغنياء . ويقول ايضاً بالنبي الويل للذين يقولون ان الرديّ جيد والجيد رديء والجاعلين النور ظلمة والظلمة نوراً الجاعلين المر حلواً والحلو مراً . الويل للذين يزكون المنافق من اجل الهدايا . وينتزعون حق الصديق . الويل للذين يقومون بالغداة ويطلبون المسكر ويلبثون فيه الى المساء . فان الخمر تحرقهم . لانه بالمعازف والدفوف والصفارات يشربون النبيذ . ولا يشاهدون اعمال الله ولا يتاملون صنائع يديه وهذه ونظائرها للمحبين

للعالم والناس الوادين للبشرة لا المحبين للمسيح . اتشاء ان تسمع اوصاف يسيرة من التي للمحبين للمسيح والسالكين في الطريق الضيقة . اسمع الرسول قائلاً . في كل شيء نظهر ذاتنا كما يليق بخدام المسيح . بصبر كثير بغموم . بشدائد . بضيقة بجراحات بالحبوس بالاضطرابات بالاتعاب . بالاسهار بالاصوام وتوابعها . والرب يقول ايضاً . قوموا وصلوا لئلاَّ تدخلوا في تجربة . ماذا يجب ان نعمل يا اخوتي ها قد سمعتم كيف يطوب السالكين في الطريق الضيقة وكيف يوّبل السائرين في الطريق العريضة الواسعة المؤدية الى الهلاك فلنتعب زماناً يسيراً لنملك الى الابد وليكن بازاء اعيننا كل حين الوارد ليدين الاحياء والاموات ولنتذكر دائماً الحياة الخالدة والملك الذي لا موت فيه والتصرف مع الملائكة والعيشة مع المسيح فنتذكر ان ليس في العالم شيء سوى دموع وتعييرات ومثالب وتوان واتعاب وامراض وشيخوخة وخطايا وموت . فلا تحب العالم احذر لئلاَّ يطربك العالم ويعرقلك ويرسلك عارياً الى ذلك الدهر تذكر القايل صلوا بلا فتور . لا تسر بزهزهة العالم ليكن المزمور كل وقت في فمك فان الرب نفسه يعظ به ويعزي انفسنا ومهما اجترمناه وهفونا به ما دام لنا اوان التوبة فلنداوه بالعبرات . وقت التوبة قليل وملك السموات لا نهاية له . نحن نطوب القديسين ونتوق الى اكليلهم ولا نشاء ان نشابه جهاداتهم هل تظنون انهم كللوا بغير اتعاب واحزان كما نشاء . نحن اتشاء ان نسمع اية نياحة كانت للقديسين في هذا العالم بعضهم ضربت اعناقهم . آخرون ذاقوا تجربة استهزاء وسياط وقيود وحبوس رجموا نشروا وماتوا بقتل السيف طافوا بجلود غنم وبجلود المعزى معوزين مغمومين مذلين قوم لم يستحقهم العالم تائهين في البراري والجبال والمغائر ومثاقب الارض هاقد سمعتم جزءاً من كثير من نعم القديسين ونياحهم في هذا العالم وكأنهم في سرور احتملوا سائغ هذه ونظائرها اذ كانوا يقدمون نظرهم الى الخيرات المحفوظة في السموات التي لم ترها عين ولم تسمع صفتها اذن ولم تخطر على قلب انسان التي . اعدها الله للذين احبوه ان اخذت اسم الله تطرد الشياطين تحرك يدك للعمل ليرتل لسانك ويصل عقلك ان شئت ان تنجو من التعذيب لا تقرف احداً قط . ويل لمن لا شريعة له اذا استفاء الكل بظلم هو . الويل للمفتري فان لسانه سيعقد فكيف يعتذر لدى الحاكم لا يستطيع ذلك . الويل للمتكبر فان ثروته تهرب والنار تقبله الويل للواني فانه سيطلب الزمان الذي اضاعه يوماً واذا طلبه لا يجده الويل لمحب الزناء فانه

قد وسخ الحلة العرسية وسيخرج بخزي من العرس الملكي الويل للثلاب ومعه المستكبر فانهما سيرتبان مع القتلة و يعذبان مع الزناة الويل لمن يتنعم زماناً قليلاً فانه سيطلب كالخروف للذبح الويل للمرائي فان الراعي يجحده والذئب يخطفه الطوبى لمن سلك الطريقة الضيقة فانه سيدخل الى السماء لابس الاكليل الطوبى لمن سيرته عالية وعقله متضع فانه تشبه بالمسيح فسيجلس معه مغبوط من قد صنع بالفقراء احساناً كبيراً فانه اذا حوكم سيجد كثيرين ينتصرون له الطوبى لمن يكلف ذاته في كل شيء فان المقتسرين يختطفون ملك السموات فلنكلف ذاتنا اذاً يا احبائي في كل عمل صالح ولنعز ذاتنا ولنعطها لينر الواحد نفس الآخر كما انكم تعملون ذلك في كل وقت وليكن حديثنا عن الدينونة وعن اعتذارنا ان كنتم تعملون عملاً او كنتم تسلكون او على الغداء او على مضاجعكم او في عمل آخر اهتموا في كل وقت من اجل الدينونة و بورود الحاكم العدل وتذكروا في قلوبكم هذا وليقل بعضكم لبعض ترى كيف تلك الظلمة البرانية ترى كيف هي النار التي لا تطفأ والدود الذي لا يرقد ترى كيف هو صريف الاسنان (هذه فليخاطب بها بعضكم بعضاً كل حين ليلاً ونهاراً) واين يجري النهر الناري وينظف الارض من آثامها كيف تدرج السماء كالمدرج كيف تنثر النجوم كورق التينة كيف تفنى الشمس والقمر كيف تنشق السموات بامر السيد كيف يبرز القاضي من السماء و ينحدر كيف تضطرب قوات السماء وتحاضر كيف يستعد العرس الرهيب كيف يتزلزل القرار منتظراً وطيء القاضي عليه كيف تتكاثف اصوات الابواق كيف تتفتح القبور كيف تنقض الاجداث كيف ينهض الراقدون منذ الدهر كمن يقوم من نوم كيف تتحاضر النفوس الى الابدان كيف يتبادر القديسون الى الاستقبال كيف يؤهل المستعدون الى الدخول كيف تغلق الابواب دون المتوانين . هذه اذا درست تفيد عادة حسنة . هذه اذا اهتم بها ليلاً ونهاراً تقني امراً نفيساً لان من يذكر الموت دائماً لا يخطيء كثيراً لا نحاضر طول حياتنا من اجل البطن ومن اجل الملابس فهذه انما يصنعها الامم الذين ليس لهم امل حياة ابدية فلا نماثلهم بل نسمع الرب يقول اطلبوا ابداً ملك السماء وعدله وهذه كلها تزادونها فلنطلب يا اخوتي ذلك الملك الذي لا نهاية له ولا انقضاء فلنطلب ذلك الفرح المؤدي الى الدهور التي لا تنفذ لنبتهل يا احبائي بوجع قلب وبدموع وتنهد الا نخيب من سماع ذلك الصوت المغبوط ولنمتنع من النعم ههنا لنستفيد هناك فرح الفردوس ونعيمه ولنبك ههنا قليلاً

لنضحك هناك ولنجع لنشبع هناك ولندخل في الباب الضيق والطريقة الحرجة لئلا نخطر هناك في الطريقة العريضة الواسعة واقول ايضاً احذروا ان يعرقلكم العالم ويلعب بكم ويرسلكم الى ذلك الدهر عراة اشقياء فانه قد عرقل كثيرين ولعب بكثيرين وكثيرون اعمتهم خديعة هذا العالم فنحن يا اخوتي فلنصغ الى ذاتنا ولنسمع الرب قائلاً . تعالوا ورائي . فلنترك كل شيء ونتبعه وحده ولننبذن كل فرح هذا العالم فانه سيخزى كل من يحبه فلنسرع نحن ان نتخذ الحياة الابدية ومجاورة الملائكة والتصرف مع المسيح فان له المجد والاقتدار مع الآب والابن والروح القدس الى ابد الدهور امين

المقالة الخامسة

في النسك والتعزية الكثيرة والخشوع للمريدين ان يخلصوا

يضطرني الوجع ان اتكلم وعدم الاستحقاق يتهرني كي اصمت والاوجاع تكلفني ان اتكلم وخطاياي تحضني على السكوت فاذ قد اكتنفت من الامرين جميعاً فالاوفق لي ان اتكلم لكيما انال الراحة من اوجاع قلبي لان نفسي توجعني وعيناي تشتهيان الدموع فمن يعطي لراسي ماء ولعيني عين دموع فابكي نهاراً وليلاً على كلوم نفسي وعلى رخاوة الموعظة الصائرة في ايامنا لان نفسي مملوءة جراحات ولا تعلم لان تعظمها لا يسمح لها ان تتامل كلومها لتشفى لان ذلك كان وحده عظة في ايام آبائنا لانهم اشرقوا كالشمس وكالنجوم في كافة الارض سائرين بها في وسط القرطب والاشواك اي بين الاراتقة والناس المنافقين مثل جواهر كريمة ولؤلؤ جزيل ثمنه الذين من اجل مسكهم الكثير وسيرتهم الصعبة صار الاعداء انفسهم متشبهين بهم لان من كان يشاهد تواضع رأيهم ولا يتخشع او وداعتهم وصمتهم فلا يتغير . اي محب المال كان يعاين عدمهم القنية فلا يصير مبغضاً للعالم . اي متغطرس ومستكبر كان يرى سيرتهم الحسنة فلا ينتقل الى التواضع . اي خبيث ودنس كان يبصرهم في الصلاة واقفين فلا يظهر في الحين عفيفاً وطاهراً اي سخوط او غضوب اذا كان يخاطبهم فلا ينتقل الى الوداعة . ههنا جاهدوا وهناك ابتهجوا لان الله يمجد بهم والناس ابتنوا وانتفعوا . فاما العظة التي لنا فقد جعلتنا نترك الطريق المستقيمة ونعتسف الزوايا لان ليس احد يترك الاموال من

اجل الله ولا احد يزهد من اجل الحياة الابدية وليس احد وديعاً ومتواضعاً ولا ساكن الاخلاق ومبتعداً من السب او صبوراً على القذف بل الجماعة سخوطون ومجاوبون والكل عاجزون وغضوبون ومتزينون بالثياب . الكهانة معجبون والشرف معجبون والجماعة يحبون ذاتهم . لان الذي قد جاء ليوعظ قبل ان يوعظ يعظ او قبل ان يعظ يعلّم . قبل ان يتعلم يشترع فرائض . قبل ان يتهجى في الكتب يصنع كتباً . قبل ان يطيع يرام ان يطاع . وقبل ان يومر يأمر . وقبل ان يعاتب يشترع العتاب ان كان شيخاً يأمر بتأمر وتعظم . وان كان شاباً يجاوب . وان كان موسراً لتجبر يطلب اكراماً . وان كان مسكيناً يسال عن الراحة . وان كان صائماً ينظف اصابعه ويصون تضبدها . من لا يبكي يا احبائي على التعليم الذي لنا لاننا قد زهدنا في العالم ونعقل المعقولات الارضية . الفلاحون قد زهدوا في الارض والمظنون انهم روحانيون قد ارتبطوا بها . لا نعرف يا اخوتي الى اين قد دعينا والى اي امر جئنا . دعينا الى الملك والحمية ونشتهي الاطعمة الطيبة وجئنا الى العري ونخاصم من اجل ثياب ناعمة . دعينا الى الطاعة والوداعة ونجاوب متشربين نقرأ ولا نعرف ونسمع ولا نعقل القول الذي في ذاتنا . ان صادف انسان في الطريق بغتة قتيلاً تستحيل نضارة وجهه ويجزع قلبه ونحن نقرأ اخبار الرسل المقتولين والانبياء المرجومين ونظنها قيلت عبثاً ولم اقول عن الانبياء والرسل نسمع ان الاله الكلمة نفسه علق على خشبة من اجل خطايانا وقتل ونضحك ونتنزه . الشمس لم تحتمل شتيمة السيد فقلبت بهاءها الى الظلمة ونحن لا نشاء ان ننتقل من ظلمة رذيلتنا . فلنطهرن ذاتنا يا احبائي ليسكن الاله فينا وننال مواعيده لا نشتم اسمه القدوس الذي دعي علينا لا يجدف من اجلنا على اسم الهنا فلنشفق على ذاتنا متفهمين ان اسمنا قد اتفق مع اسم المسيح لانه هو المسيح ونحن ندعى مسيحيين . الروح هو الاله ونحن صرنا روحانيين . لان حيث روح الرب فهناك الحرية فلنحرص ان ننال هذه الحرية لنخطر بذهننا لاية سيرة قد اهلنا عالمين انه الى عرشه دعانا . فلنعين ذاتنا ولو كان مثل ما احبنا هو ولنشتاقن اليه ليشرقنا . اصغوا الى ذاتكم لئلا نطالب بطائلة مضاعفة يوم الديونة . قد انفصلنا من العالم ونعقل معقولات العالم . استغفرنا بالاموال ونهتم من اجلها هربنا من الاشياء البشرية ونحن نطلبها ونخشى من ان يدهمنا بغتة ذلك اليوم ونوجد عراة واشقياء وغير مستعدين فتندم انفسنا لان هذا الامر نفسه صاب الذين كانوا على عهد نوح . وفي ايامه كانوا يأكلون

ويشربون ويزوجون ويتزوجون يبيعون ويبتاعون الى ان جاء الطوفان فاهلك الكل . ان الامر يا اخوتي عجيب جداً انهم كانوا يعاينون الحيوانات البرية متنقلة كانت تتقاطر جمعاً واحداً . الفيلة كانت تتقاطر من بلاد الهند وفارس . الاسد والنمورة تجتمع مع الغنم والمعزى ولا تأذي . الدواب والطيور توافي من غير احد يسيرها وتحل حول السفينة بحرص وهذه كانت في ايام طويلة ونوح نفسه كان يعمل السفينة بحرص ويهتف اليهم توبوا فلم يرتدعوا وكانوا يشاهدون متعجبين من اجتماع البهائم والحيوانات البرية فلم يتخشعوا ليخلصوا . فلنرهبن يا احبائي لئلا يصيبنا نظير هذه لان المكتوبات قد كملت والعلامات المقولة لما انقضت وما تبقى شيء اخر سوى امور عدونا معاند المسيح لانه في كمال مملكة الروم يجب ان تكمل الاشياء كلها فمن يشاء ان يخلص فليحرص من يوثر ان يدخل الملك فلا يتوان من يشاء ان ينجى من جهنم النار فليجاهد فرط الجهاد ومن يوثر الا يطرح في الدود الذي لا يرقد فليتيقظ مستفيقاً . من يوثر ان يستعلي فليتواضع . ومن يشاء ان يتعزى فليبكِ . ومن يحب ان يدخل الخدر ويتنعم فليأخذ مصباحاً نيراً وزيتاً في وعائه . ومن ينتظر ان يتكئ في ذلك العرس فليقتن حلة منيرة . فان مدينة الملك هي مملوءة سروراً وابتهاجاً . موعبة نوراً وحلاوة نابعة لذة وحياة ابدية للساكنين فيها . فمن يحب ان يساكن الملك ويستوطن مدينته فليجد احضاره لان النهار قد مال ولا يعلم احد ماذا يلتقي في الطريق . لانه مثل مسافر يعرف بعد مسافة الطريق فاضطجع ونام الى قرب المساء ثم انتبه وابصر النهار قد مال فلما ابتدأ بالمشي تداركته بغتة الغيوم والبرد والرعود والبرق مختنقة بالهواء فاشتمله الغموم من كل جهة وتضايقت حياته لانه لا يستطيع الوصول الى المنزل ولا يستطيع ان يعود الى موضعه . هكذا يصيبنا نحن ان توانينا وضجعنا في اوان التوبة . لاننا نحن سكان وراحلون فلنحرص ان ندخل الى مدينتنا وموطننا بعزاء نحن يا اخوتي تجار روحانيون طالبو الجوهرة الجزيلة قيمتها التي هي المسيح مخلصنا . الفخر والكنز الذي لا يسلب . فلهذا فلنقتنه بحرص كثير فمغبوط ومثلث السعادة من قد حرص ان يقتنيه فشقي من توانى ان يقتني صانع الكل . او لا تعلمون يا اخوتي اننا اغصان الكرمة الحقة التي هي المسيح . فاحذروا اذاً ان يوجد احد غير مثمر . فان اب الحق هو الفلاح الذي يعمل هذه الكرمة . والذين يعطون ثمراً يطهرهم ليأتوا بثمر اكثر والذين لا يأتون بثمر يقطعهم ويرميهم خارج الكروم ليحرقوا بالنار

فتأملوا ذاتكم حذرين ان توجدوا غير مثمرين فتقطعوا وتلقوا في النار • فكذلك نحن بذار جيد زرعه المسيح سيد المنزل صانع السماء والارض واوان الحصاد قد حان والحصادون بايديهم المناجل منتظرين اشارة السيد • فاحذروا ان يوجد احدكم زوانًا فيشد حزمًا ويحرق بالنار الدهرية • الا تفهمون يا اخوتي اننا مزمعون ان نعبر لجة مرهبة • فالذين هم تجار حاذقون وحكماء مستعدون وتجارتهم بايديهم منتظرون هبوب الرياح ليسيروا ويبلغوا الى ميناء الحياة وانا ومن يشابهني نتنزه بلا كسب ولا فايدة • ليس لنا شيء موضوع في ذهننا لنعبر به هذا البحر ونخشى ان تهب الرياح بغتة ونوجد غير مستعدين فيقيدونا ويرمونا في المركب • وسنبكي هناك على ايام ونيتنا ناظرين الى آخرين متهجين مسرورين ونحن في وجع وحزن • لانه في تلك الميناء يفتخر كل احد بتجارته وثروته • فاخشى يا احبائي ان تخرجنا آلام البشرة خارج الخدر اذ نحن من خارج لابسون زيًا لان الذي من خارج يعرف اين هو قلبنا وعقلنا • التزين وتنظيف الثياب يوضحان اننا مجردون من ذلك المجد مفتكرون في الاشياء الارضية • واثرة الشرف تدل اننا معجبون والتلذذ بالاطعمة يدل اننا شرهون البطن والونية توضح اننا عاجزون ومحبة الاقتناء توضح اننا لا نشتاق الى المسيح والحسد يخبر ان ليس لنا محبة في ذاتنا وغسل ارجلنا ووجوهنا يدل على اننا عبيد الآلام لان القلب يشتاق الى شيء والاشياء التي يودها القلب يتلوها اللسان وشفاهنا تستوضح مكتومات قلبنا متى انفتح الفم ولا باب له ولا حراسة يخرج كلامنا بلا تحفظ وباقوالنا تسلب متاع قلبنا لان فما لا يحفظ اسرار القلب يسترق افكاره والروَّيات التي يظن انها باطنة تشتهر بالفم والنتائج التي يظن انها لا ترى تبصر • التلذذ بالمثالب يوضح اننا موعبون بغضًا فلا ينخدعن احد بالورع الظاهر فانه يخدع ذاته واخاه • من يظن انه يقنع بالورع الظاهر فتصرفه يظهر كذب ورعه • ان شئت ان تعرف افكار القلب فتقدم الى الفم ومنه تعرف باي شيء تهتم وعلى ماذا تحرص أعلى الاشياء الارضية او على المناقب السماوية على الامور الروحانية او على الاشياء البشرية من اجل اللذة اهتمامك او من اجل الحمية بهجر القنية تهتم او باستكثارها بالتواضع او باستعلاء الراي بالمحبة او بالبغض لان من كنز القلب يخرج الفم اهتماماته وهذيد اللسان يوضح الى ماذا يشتاق الى المسيح او الى امور العالم الحاضرة والنفس التي لا ترى تبصر بافعال الجسد ما هي ان كانت صالحة او خبيثة لانها صالحة بطبيعتها

وتنتقل الى الشر بالنية المتسلطة على ذاتها لكن لعل احدًا يقول ان الالام الطبيعية والذين يعملونها لا جناح عليهم • اصغَ الى ذلك ولا تنسب حسن اختراع الاله الصالح الى زلة الجنوح فانه قد صنع البرايا كلها حسنة جدًا وزين الطبيعة بسائر الصالحات فمن يجع اذًا لا يذنب ان اكل بمقدار • لان الجوع طبيعي واذا عطش انسان كذلك وشرب قدر كفافه فلا يخطي • لان العطش طبيعي اذا نام احد فلا يخطي • ان ينم بلا مقدار ويرخ ذاته ويدفعها الى النوم • حقًا ان النوم الذي لا مقدار له عادته تغلب الطبيعة لان الطبيعة والعادة هما كارزان بحظوظ كل واحد منهما فالطبيعة توضح العبودية والعادة تشهر النية لان منهما كلاهما تتضح كيفية الانسان والنية هي مسلطة على ذاتها فهي مثل فلاح تطعّم في ذاتها عادات رديئة وصالحة كما تشاء • اما العادات الرديئة فتطعمها هكذا • تطعّم في الجوع نهم البطن وفي العطش كثرة الشرب في النوم الرخاوة في النظر الروية الرديئة في الحق الكذب وكذلك تطعّم الفضائل الصالحة هكذا في الاغتذاء المسك وفي العطش الصبر وفي النوم السهر وفي الكذب الحق وفي النظر التعفف وفي التامل خفة عين فهي مثل فلاح تقتلع العادات الرديئة وتطعم الفضائل الصالحة فتغلب الطبيعة • فارض عملنا هي الطبيعة والفلاح هي النية والكتب الالهية هم المشيرون والمعلمون يعلمون فلاحنا اية عادات تُقلع واية فضائل صالحة تُنصب فما دام فلاحنا مستغيثًا وحريصًا من قبل تعليم الكتب الالهية فهو قوي لانها تعطيه الكتب الالهية من غصونها فهمًا وقوة فضائل صالحة ليطعّم في شجرة الطبيعة امانة في عدم الامانة ورجاء في عدم الرجاء ومحبة في البغض ومعرفة في عدم المعرفة وحرصًا في التواني ومجدًا ومديحًا في عدم الشرف وعدم موت في الامانة ولاهوتًا في الناسوت فان شاء وقتًا ما فلاحنا بتعظمه ان يترك المعلم والمشير عليه اعني الكتب الالهية ويوجد ذاتها ويصادف نتائج خبيثة جامعًا عادات لا نفع فيها ويطعّم في الطبيعة التطعيمات التي خارج الطبيعة اعني عدم الامانة وجهالة وبغضًا وحسدًا وكبرياء ومجد باطل واثرة الشرف ونهم البطن وخصومة ومجاوبة واشياء اخر اكثر من هذا لانه لما تُرك المشترع ترك منه فان تندم وعرف ذاته وسجد للمشترع الشريعة قائلا قد اخطأت اذ تركتك يقبله المشترع السنة في الحزن بتعطفه على الناس ويمنحه فهمًا واقتدارًا صالحًا ليعمل ايضًا ارض فلاحته وطبيعته ويقتلع منها العادات الرديئة وينصب عوضها الفضائل الصالحة بل ويمنحه اكلة ويعطيه

جوائز ومدائح هكذا كما قلت انه يجوع بالغريزة يحتمي و يعبر و يعطش لكنه يصبر يشتهي لكنه يعيف يثقل بالنوم او يشمله عجز في تمجيد السيد لكنه اذا سهر يكلف نفسه في تسبيح الله وكذلك يكال اذا غلب الطبيعة واقتنى الفضائل . فالمجد اذاً لتعطفه والشكر لصلاحه والسجود لتحننه . اي رب رؤوف هكذا اي اب رحوم هكذا اي اب هكذا يحب مثل سيدنا الذي احبنا نحن عبيده ويهب لنا كل شيء ويدبر امورنا و يشفي جراحات نفوسنا بكثرة صنوف الادوية ويتمهل علينا اذا خالفناه ويشاء ان يخلصنا كلنا و يشاء ان يصورنا وارثين ملكه ويؤثر ان تمدح حريته اذا شفت الامراض السهلة الشفاء والخطيرة . لان الاسقام الثقيلة والمستصعب شفاؤها هو يشفيها فيشفي جراحات العاجز بنفخة فمه لدراسته بتمجيده و يصفح عن خطايا الخاطي . باستنهاضه اياه الى النشاط ويسمع من السقيم سريعاً لئلا تصغر نفسه ويمنح الطويلة اناتهم والقارعين ابوابه دائماً الموهبتين كلتيهما اي الشفاء والثواب لانه يقدر ان يشفي جراحات نفوسنا كلها و ينقلها غصباً الى الحرية لكنه يشاء لئلا تعدم نيتنا المدائح التي منه ونتوانى ان نستغيث به لمعونتنا ونصرتنا . فلمحبته ايانا ورأفته بنا قد افتدانا واقر اعين ذهننا منحنا المعرفة واذاقنا محبته لنطلبه بلا تقصير . الطوبى لمن ذاق محبته واعد ذاته ان يمتلىء منها دائماً فانه اذا امتلأ من مثل هذه المحبة لا يقبل في ذاته محبة اخرى . يا احبائي من ذا لا يحب مثل هذا السيد من لا يمجد ويشكر لصلاحه اي اعتذار لنا في يوم الدينونة ان توانينا . ام ماذا نقول له انقول اننا ما سمعنا اوما عرفنا او ما علمنا ماذا ينبغي ان نعمله ولم يعمله بنا ام ينحدر الينا من العلو الذي لا ينحدر ولم ينزل من حضن الاب المبارك . اما شوهد الغير المرئي منا . واذ هو غير مائت الم يتجسد من اجلنا او ما لطم ليعتقنا يا للعجب الموعب خوفاً ورعباً ان يداً طينية خلقت من طين الارض لطمت باري السماء والارض ونحن الاشقياء والادنياء ترابيون ومائتون ورماد ولم نحتمل كلمة بعضنا من بعض هو غير مائت الم يمت من اجلنا ليحيينا اولم يدفن لينهضنا معه فكنا من رباطات العدو وربطه واعطانا سلطانا ان ندوسه . متى استغثنا به ولم يجبنا او قرعنا بابه فلم يفتح لنا وان نباطأ وقتاما اليس ذلك ليكثرثوا بنا . ايها الحبيب لم زهدت في العالم . ألكي تطلب نياحة جسدانية وبدل العري أتبتغي حلة . وعوض العطش أتطلب شرب خمر . دعيت الى محاربة ونروم ان تصافف اعداك بغير اسلحة . عوض السهر تنحدر الى النوم وعوض

البكاء والنحيب تبدل ذاتك للضحك وبدل المحبة تحوي نغصاً لصاحبك . جئت الى الطاعة وانت تجاوب . جئت لترث ملكاً وانت تعقل المعقولات الارضية وعوض التواضع والوداعة تشتمل بالتعظم والتكبر . ماذا تقول له في ذلك اليوم . أتقول انني تواضعت من اجلك . وتمسكنت وتغربت . وجعت وعطشت الى محبتك من كل نفسي واحببت قريبي كنفسي . لا تستجهل ان اقوالك وافكارك ليست غير مكتومة . وضميرك هو الناظر اياك ان كذبت لا تجهل انه لا يوبخك او لا تعلم ان الربية كلها تقف امام مجلسه بخوف ورعب شديد . وتحوط به الوف الوف وربوات ملائكة ورؤساء ملائكة وان كنت تفتكر ان تكذب وتقول قد احتملت من اجلك مثل جسامة هذه الاشياء . احذر ان تبدي طائلة كبيرة عن اعمالك الخبيثة وعن كذبك . فق من نومك وعد الى ذاتك . اجمع افكارك وانظر ان النهار قد مال . افهم هذا المعنى ايها الاخ . ان اخوتنا الذين كانوا معنا بالامس يكلموننا . ليسوا معنا اليوم لانهم دعيوا الى ربهم وربنا . ليجد به كل واحد منهم تجارته . ها انتم قد عرفتم امور امس الماضي وامور اليوم . كيف مضى امس كزهرة صباحية واليوم هو كمثي مسائي . فتأمل امتعة تجارتك ان كانت قد نمت فائدتها من اجل الله . لان ايامنا تجوز مثل مشي ساعي . الطوبى لمن يتجر وينمي بضاعته يوماً فيوماً ويجمع فوائد الحياة الدائمة . لم تتوانى ايها الحبيب لم تضجع وقد سكرت بالضجر كسكرك من النبيذ ماذا تميز في ذاتك انك تجعل لك منزلاً في هذا الدهر لانه مثل اثنين مسافرين اتفق احدهما مع الاخر في الطريق وكل واحد منهما ذاهب الى منزله فلما ادركهما كلاهما المسا نزلا في الفندق الذي بلغا اليه ولما صارت الغداة فارق احدهما الآخر . وكل واحد منهما يعرف ماله في منزله اما غنى واما فقرا اما نياحة واما حزناً هكذا نحن في هذا العالم فان هذا العمر يضاهي مسكناً ومنه نفترق ذاهبين الى موضعنا عالمين ما لنا امامنا لان كل واحد منا لا يجهل ما تقدم فانفذه الى السماء كما اقول ان كان ارسل صلاة بدموع او سهراً نقياً او ترتيلاً او تخشعاً او مسكناً بتواضع الراي او زهداً في الامور الارضية او محبة بلا رياء وتوقان الى المسيح . ان كنت سبقت فارسلت هذه فثق انك ستمضي الى نياحة وراحة وان كنت ما ارسلت ولا واحدة من هذه لم تغبط قريبك في مسكن الاغتراب لانك غداً تفارقه لم تتكبر لم تتعظم لم تحزن اتؤثر ان تحمل المسكن معك لم تهتم من اجل ثياب وملابس وطعام فالمعطي